مقدمة

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)﴾ (الكهف:١-٢)

ويقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ (النحل:٨٩)

ويقول تعالى:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام:٣٨)

وروى سيدنا علي بن أبي طالب حديثًا عن رسول الله ﷺ يوضح أهمية القرآن في حياتنا، وأنه طوق النجاة لمن اتخذه إماماً، يقول عليه الصلاة والسلام: «**ستكون فتن كقطعُ الليل المظلم**»، فقال سيدنا علي: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**عليكم بكتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه جبار قصمه الله، ومن ابتغي الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي ما انتهت إليه الجن إذا سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾**

(الجن:١) من عَلمَ علْمَه سبق، ومن عمل به أُجر، ومن قال به صدق، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم». رواه الدارمي في فضائل القرآن.

وبعد....

تتعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله بتعدد جوانب النظر فيه، وقد أفاض المتحدثون عن أوجه الإعجاز، فكان منهم ما رأى ذلك في جمال بيانه وكمال بلاغته، أو روعة معانيه ودقة صياغتها وقدرتها على مخاطبة الناس على اختلاف مداركهم وأزمانهم، ومنهم من أدرك إعجاز القرآن في كمال ودقة تشريعه، أو في استعراضه الدقيق لتاريخ عدد من الأمم السابقة، ولذلك فقد تحدى القرآن العرب أرباب الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور:٣٣-٣٤) ، وأيضًا تحدى الإنس والجان أن يتظاهروا ويأتوا بمثله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء:٨٨) فعجزوا، فخفف عليهم الأمر وطلب منهم عشر سور: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (هود:١٣)، فعجزوا فهون عليهم الأمر طالبًا سورة واحدة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (البقرة:٢٣)، فصمتوا وسيظلون عاجزين، فإنه معجزة الدهور، تمر الأيام ، وتبلى الليالي ، وهو باق يتحدى الأجيال، تحدى الماضي فقهره ، والحاضر

فخذله ، وسوف يقف المستقبل أمامه خاشعًا مكتوف اليدين ، يسمع تحديه وهو صامت، ينظر إلى جلاله فيرتد إليه بصره؛ إذ يبهره علاه ويغمره سناه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت:٥٣).

ولقد كان للقدماء اجتهادهم المشكور في تفسير القرآن الكريم، وعلينا أن نستفيد بأفضل ما أثمر عنه اجتهادهم، كما كانت لهم أيضًا أخطاؤهم، وعلينا أن نتركها ولا نتشبث بها، حتى لا نكون مثل الذين ﴿ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ (المائدة:١٠٤).

ومن الناحية الأخرى، فقد أتاح لنا عصرنا معرفة هائلة لم تكن متاحة لأسلافنا، وفي هذه المعرفة دلائل على صحة القرآن الكريم وصدق النبي محمد ﷺ الذي نطق به، ولا شك أن هذا يقتضي منا أن نعاود النظر مرة بعد أخرى في القرآن الكريم بنور العلم الذي يواصل الله إتاحته للإنسان؛ ليتيقن أن هذا القرآن هو الحق الذي جاء من الله عبر الوحي إلى النبي ﷺ ، ولذلك ظهر لون جديد من تفسير القرآن الكريم يربط بين الآيات القرآنية ، وبين الحقائق العلمية المكتشفة ، وهو ما يعرف بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ولا ندعي بذلك أن القرآن الكريم تضمن العلوم الكونية وتفصيلاتها الدقيقة، وإنما المقصود هو التأكيد على أن الحقائق العلمية المشار إليها في القرآن الكريم يؤدي فهمها إلى تعميق الإيمان بالله وقدرته، وأن هذه الحقائق الكونية تقف شاهدًا على صدق القرآن الكريم، ليظل حجة على الناس كلما انتشرت العلوم الكونية ، ويصبح بذلك من عناصر خلوده إلى يوم الدين.

كما يمثل إثبات الإعجاز العلمي للقرآن عامل جذب ودعوة لغير

المسلمين إلى الإسلام وتثبيتاً للحقيقة بأن القرآن الكريم هو كلام الله الرحمن الرحيم، ومن هنا كان واجب علماء المسلمين في فهم تلك الآيات الكونية وإظهار جوانب الإعجاز بها، فالآيات الكونية في كتاب الله ، والتي يزيد عددها عن الألف آية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة ، والتي تشكل في مجموعها حوالي سدس القرآن الكريم مجتمعة، هذه الآيات لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً في إطارها اللغوي فقط، بل لا بد من توظيف المعارف العلمية الحديثة؛ لأن فيها من الألفاظ والمعاني ما لا يقف على دلالتها إلا الراسخون في العلم، كلٌ في تخصصه.

ومن أجل ذلك كانت الآيات القرآنية العديدة التي تشير إلى مستقبلية الفهم لبعض الآيات التي سوف يكشفها الله تعالى للناس في الأزمنة اللاحقة مثل قوله تعالى:

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء:٣٧)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد:٢٤)

﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (ص:٢٩)

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣)

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل:٩٣)

إذن فهذه الآيات هي دعوة دائمة مستمرة إلى يوم البعث من الله ﷻ بتجديد تفسيرنا للقرآن الكريم، ولذلك لم يقم النبي ﷺ بتفسير

القرآن، بل ترك الباب مفتوحًا على مصراعيه أمام العقل الإنساني لينهل من هذا الكنز العلمي الإلهي، لأنه ﷺ لو قدم تفسيرًا للقرآن الكريم لوضع قيدًا صارمًا على العقل الإنساني يستحيل الخروج من أغلاله؛ لأن تقديم تفسير يخالف ما قاله النبي ﷺ يعد خروجًا على مقتضيات الإيمان، وفي نفس الوقت، فإنه ﷺ كان يعلم أن القرآن يشير إلى علوم كثيرة، ومعان عميقة لا يستطيع عصر التنزيل في القرن السابع الميلادي أن يقبلها، فترك التفسير ميدانًا واسعًا مفتوحًا للعلماء من البشر على مر العصور، ومن أجل ذلك فإن ربنا تبارك وتعالى يحضنا على تدبر آيات القرآن الكريم فيقول ﷻ:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:٨٢)

كما يحضنا القرآن الكريم بالنظر في كل ما خلق الله فيقول تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات:٢١)

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ (يونس:٨١)

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف:١٨٥)

كما يحذرنا القرآن من عدم التفكير في آيات السماوات والأرض، فيقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف:١٠٥)

ولذلك كرم الله ﷻ العلماء في كتابه الكريم في قوله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة: ١١)

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ٩)

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨)

والآية الأخيرة يلاحظ أنها قد وردت بعد استعراض لكثير من المشاهد الكونية، مما يؤكد أن الآية تشمل علماء الكونيات، إن لم يكونوا هم المقصودين بها مباشرة، فيقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (فاطر: ٢٧-٢٨)

ومن هنا كان اهتمامي بالآيات الكونية في كتاب الله، وحرصي على توظيف ما من الله تعالى على شخصي الضعيف من معرفة محدودة في جانب من جوانب العلوم الكونية ، وهي علوم البحار في الإشارة إلى الدلالة العلمية لتلك الآيات بمعنى سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد من الحقائق العلمية التي لم يكن لأحد من الناس إدراكها، أو دراية بها وقت نزول القرآن الكريم ولقرون طويلة من بعد نزوله.

هذه الحقائق التي سبق القرآن الكريم الإشارة إليها في دقة وشمول وكمال من قبل ألف وأربعمائة من السنين، لم يستطع الإنسان إدراك شيء منها إلا بعد مجاهدة طويلة استغرقت آلاف العلماء لمئات من السنين. وسوف نعيش من خلال هذا الكتاب بعرض بعض الحقائق التي أخبر عنها القرآن الكريم في مجال علوم البحار.

وسوف نري أن القرآن الكريم تحدث عن هذه الحقائق بلغة علمية دقيقة وتعابير لغوية محكمة تدل على أن هذا القرآن كلام الله الحق، وأن سيدنا محمدً ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل هو رسول الله إلى الناس كافة؛ ولذلك فإن الهدف من هذا الكتاب هو زيادة التثبيت اليقيني بالله ﷻ، وزيادة الخشوع أمام عظمة كتاب الله الذي قال عنه تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١)

وأخيرًا يود المؤلف أن يقرر حقيقة علمية هامة، وهو أنه ليس المؤلف الفعلي لهذا الكتاب، فهو ببساطة قام بجمع كل ما قيل عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجال علوم البحار، والتعليق عليه ووضع رأيه الذي تعلمه في المراحل التعليمية المختلفة، فإن كان ما يفيد فهو من فضل الله يعود إلى أهله ممن عثرنا على مؤلفاتهم ومكتوباتهم، وإن كان فيه نقص فإنما يعود إلى حيث ما قد أسأت فهمه، فأخطأت في نقله.

هذا وأسأل الله ﷻ أن يكون لما جاء في هذا الكتاب أثر ملموس في زيادة إدراك القارئ العزيز لقدرة الخالق العظيم.

والله ولي التوفيق،

المؤلف

د. محمد حسن مراد